جامعة الملك سعود
كلية الآداب
مجلة الآداب
ردمد ١٠١٨-٣٦٢٠

King Saud University
College of Arts
Journal of Arts
ISSN 1018-3620

مجلة الآداب، م٣١، ع٢، ص ص ٢٥-٥٥، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٩م/ ١٤٤٠هـ)

Journal of Arts, Vol. 31 (2), pp. 25-55 , © King Saud University, Riyadh (2019 /1440H.)

ما أثر أبي إسحاق الصابي في تأليف "نهج البلاغة"؟

راشد بن مبارك الرشود

الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية

(قُدِّم للنشر في ١١/ ٤/ ١٤٤٠هـ، وقُبل للنشر في ٣٠/ ٦/ ١٤٤٠هـ)

الكلمات المفتاحية : أبو إسحاق الصابي، الشريف الرضي، نهج البلاغة، علي بن أبي طالب، نثر عباسي.

ملخص البحث: هذه الدراسة تبحث أثر أبي إسحاق الصابي في تأليف كتاب "نهج البلاغة"، معتمدة في ذلك على بعض القرائن والأدلة؛ ومنها تلك العلاقة الوثيقة بين الشريف الرضي الشاب الطموح جامع الكتاب وأبي إسحاق الصابي الكاتب الكبير، وبخاصة تلك العلاقة الأدبية التي تجمعهما، ومعتمدة كذلك على دراسة الصفات التي تميز بها الصابي، وجعلته أحد الكتاب الكبار في القرن الرابع الهجري، والصفات التي رشحته لدى الشريف الرضي للاستفادة منه في تأليف نهج البلاغة. ثم قارنت الدراسة- بمنهج أسلوبي مقارن- بين بعض النصوص من كتاب نهج البلاغة ومقتطفات من تأليف أبي إسحاق الصابي؛ ليتبين للباحث التشابه الكبير الذي قد يصل إلى حد التوافق في الأساليب والتراكيب والألفاظ، وليترجح لديه تأثير أبي إسحاق الصابي في تأليف الكتاب بطريقة غير مباشرة؛ إما باقتفاء طريقته في الكتابة، أو عن طريق اجتلاب بعض نصوصه وتضمينها في الكتاب.

What was the Impact of Abi Ishaq As-Sabi in the Writing of the Book of Nahj al-Balaghah?

Rashed M. Al-Rushood
Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, College of Arts, King Saud University

(Received 11/4/1440; Accepted for publication 30/6/1440H)

Keywords: Abu Ishaq As-Sabi, Ash-Shareef Ar-Radhi, Nahj al-balaghah, Ali bin Abi Talib, Abbasid Prose**.**

Abstract: This study attempts to find an answer to whether Abu Is-haq As-Sabi had an influence in the writing of "Nahj Albalaghah" book, basing on some pieces of evidence. One piece of evidence is the strong relationship, especially that of a literary one found between the ambitious young man, Ash-Shareef Ar-Rradhi, who is the compiler of the book, and the great writer, Abu Is-haq As-Sabi. Another piece of evidence is relying research on studying the traits that are attributed to As-Sabi which made him one of the greatest writers of his time, and analyzing the characteristics that nominated him to be one of those who had relationship with the composition of "Nahj Albalaghah" book. Using a stylistics method, the study attempts to compare between some of texts extracted from "Nahj Albalaghah" and some pieces of Abu Is-haq As-Sabi writings. The researcher found a great similarity in terms of style, structure and choice of word, which could be identical in some cases. The results are likely to consider that Abu Is-haq As-Sabi had an influence in the composition of the book, indirectly by adopting his style in writing or retrieving his texts and including them in the book.

المقدمة

انتقد كثير من العلماء والباحثين كتاب نهج البلاغة، وشككوا في صحته، ونظروا إليه من ناحيتين: من الناحية الخارجية، حيث انتقدوا خلو الكتاب من الأسانيد التي تثبت تلقي الشريف الرضي لما فيه من خطب ورسائل وغيرها عن طريق الإسناد؛ فقد جُمع كتاب "نهج البلاغة" بعد وفاة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بقرابة أربعة قرون، فجامع الكتاب الشريف الرضى توفي سنة (٤٠٦هـ)، وأمير المؤمنين علي توفي سنة (٤٠هـ)، وليس هناك إسناد متصل بينه وبين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وهذا أمر غريب لم يعهد في تاريخ الأمة؛ فالأمة الإسلامية – كما هو معروف– امتازت عن غيرها من الأمم بدقة توثيقها للأقوال النبوية وأقوال الخلفاء من بعده صلى الله عليه وسلم، وبراعتها في مثل هذا الفن عن طريق الأسانيد التي تثبت صحة نص من عدمه مهما كان هذا النص. روى الخطيب البغدادي عن محمد بن حاتم بن المظفر أنه قال: **"إن الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد، وإنما هي صحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل مما جاءهم به أنبياؤهم، وبين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوها عن غير الثقات..."** (البغدادي، د.ت، شرف أصحاب الحديث ص: ٤٠، وانظر: السخاوي، ٢٠٠٣: ٣/ ٣٣١).

وقد حرص سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم على التحري في نقل الأخبار، ومواقفهم وكلامهم في هذا المعنى كثير. ويوضح ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن محمد بن سيرين رحمه الله، قال: **"لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سَمُّوا لنا رجالكم"** (مسلم، ١٩٩١: ١/ ١٥).

بل إن كتب الأخبار والتاريخ والأدب والشعر مليئة بالأسانيد التي تثبت اتصال الراوي بالمروي عنه مهما تباعدت الأزمنة حتى عصور التدوين؛ وخير مثال على ذلك كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، فهو –بغض النظر عما قيل في صحة أسانيده– لا يروي أخبار الشعراء والأدباء وحتى المغنين إلا بعد أن يذكر أسانيدها.

وقد كان عدم وجود الأسانيد في نهج البلاغة مثار انتقاد العلماء، ومجالًا للتشكيك في صحة الكتاب؛ فهذا ابن تيمية يلحظ عدم وجود الأسانيد في كتاب نهج البلاغة؛ فيقول منتقدًا: **"وهذه الخطب المنقولة في كتاب نهج البلاغة لو كانت كلها عن علي من كلامه لكانت موجودة قبل هذا المصنف منقولة عن علي بالأسانيد وبغيرها، فإذا عرف من له خبرة بالمنقولات أن كثيرًا منها، بل أكثرها لا يعرف قبل هذا علم أن هذا**

كذب، وإلا فليبيِّن الناقل لها في أي كتاب ذكر ذلك، ومن الذي نقله عن علي، وما إسناده، وإلا فالدعوى المجردة لا يعجز عنها أحد" (ابن تيمية، ١٩٨٦: ٨/ ٥٥-٥٦).

ومن الناحية الداخلية لنصوص نهج البلاغة، فقد أقر كثير من العلماء في القديم والحديث أن كثيرًا مما نسب في نهج البلاغة لعلي رضي الله عنه ليس له، ومن أوائل العلماء الذين شككوا في نسبة النهج الخطيب البغدادي الذي يقول: **"ونظير ما ذكرناه آنفًا أحاديث الملاحم، وما يكون من الحوادث؛ فإن أكثرها موضوع وجلها مصنوع، كالكتاب المنسوب إلى دانيال، والخطب المروية عن علي بن أبي طالب"** (البغدادي، د.ت الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ٢/ ١٦١).

وقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية الحديث في هذا الموضوع فقال: " فأكثر الخطب التي ينقلها صاحب "نهج البلاغة **"كذب على علي، وعليٌّ رضي الله عنه أجلُّ وأعلى قدرًا من أن يتكلم بذلك الكلام، ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب، وظنوا أنها مدح، فلا هي صدق، ولا هي مدح. ومن قال إن كلام علي وغيره من البشر فوق كلام المخلوق فقد أخطأ، وكلام النبي صلى الله عليه وسلم فوق كلامه، وكلاهما مخلوق.**

وأيضا؛ فالمعاني الصحيحة التي توجد في كلام علي موجودة في كلام غيره، لكن صاحب نهج البلاغة وأمثاله أخذوا كثيرا من كلام الناس فجعلوه من كلام علي، ومنه ما يحكى عن علي أنه تكلم به، ومنه ما هو كلام حق يليق به أن يتكلم به، ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره"(ابن تيمية، ١٩٨٦: ٨/ ٥٥).

بل جزم الإمام الذهبي رحمه الله بأنه موضوع مكذوب على علي رضي الله عنه فقال في ميزان الاعتدال: **" مَن طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ففيه السب الصُراح، والحطّ على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي مَن له معرفة بنفَس القرشيين الصحابة وبنفَس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل"** (الذهبي، ١٩٦٣: ٣/ ١٢٤).

ومن المحدَثين الذين شككوا في نهج البلاغة محمد كرد علي الذي قال: **"ومن ذلك نهج البلاغة الذي ألفه الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، روى فيه خطبًا وكلامًا يستحيل أن يقوله، ومنه ما لا يصدر عن عربي من أهل الصدر الأول، لأن فيه ألفاظًا من مصطلحات القرن الثاني والثالث"** (كرد علي، ١٩٦٨ ص:٦٠- ٦١).

وتبعه في ذلك أحمد أمين الذي تحدث عن نهج البلاغة في كتابه فجر الإسلام حيث قال: **"ونسبوا إليه ما في نهج البلاغة، وهو يشتمل على كثير من الخطب والأدعية، والكتب والمواعظ والحكم، وقد شك النقاد**

في مجموعها قديمًا وحديثًا، كالصفدي وهوار Huart**، واستوجب هذا الشك أمور: لما في بعضه من سجع منمق، وصناعة لفظية لا تعرف لذلك العصر"** (أمين، ١٩٦٩ ص: ١٤٨-١٤٩).

وقال أيضاً: **"وفيه من تعبيرات إنما حدثت بعد أن نقلت الفلسفة اليونانية إلى العربية، وبعد أن دُونت العلوم، كقوله: (الاستغفار على ستة معانٍ، والإيمان على أربعة دعائم) وكالذي من وصف الدار وتحديدها بحدود أشبه بتحديد الموثقين، كقوله: (تجمع هذه الدار حدودًا أربعة، الحدّ الأول: ينتهي إلى دواعي الآفات...الخ). هذا إلى ما فيه من معانٍ منمقة لم تعرف إلا في العصر العباسي كما ترى في وصف الطاووس"** (أمين، ١٩٦٩ ص:١٤٩).

كما شكك محمد طاهر درويش أيضاً في النهج حين قال: **" وفي نهج البلاغة وصف للطاووس والخفاش والزرع والسحاب وغيرها من خلق الله...فهذا الكلام المنمق في هذه المعاني، قد جاء في أسلوب أشبه بأساليب العصر العباسي منه بأسلوب عصر علي رضي الله عنه"**(درويش،١٩٦٥: ١/ ٣٣٢-٣٣٣).

وقد قام صبري إبراهيم السيد بإعادة جمع نهج البلاغة معتمدًا على ما روي في كتب التراث العربي قبل عصر الشريف الرضي، وثبتت نسبته إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (السيد، ١٩٨٦).

وكان آخر هذه الدراسات ما قام به الباحث من تناول نهج البلاغة بالدراسة من الناحية الأسلوبية، حيث تبين من خلال تلك الدراسة أن كثيرًا مما نسب في نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليس له، ولم يقله، ولم يخطب به، ولم يرسل معظم هذه الكتب الواردة في النهج (انظر الرشود، ٢٠١٩).

وبناء على الشبهات التي دارت حول نهج البلاغة، والتأكيدات على وضعه، والدراسات السابقة التي أجريت حوله برز سؤال كبير؛ ومضمونه إذا كان كثير مما تضمنه نهج البلاغة ليس لعلي رضي الله عنه، فمن انتحل هذا النثر، وخطب هذه الخطب، وكتب تلك الرسائل؟

ولما كان هذا النثر المنحول في نهج البلاغة تظهر عليه خصائص النثر في القرن الرابع الهجري، فقد بدأ الباحث يقرأ فيما كتبه كبار كتاب القرن الرابع الهجري، وبخاصة أولئك الذين حصرهم الصاحب ابن عباد[1] في أربعة، حينما قال: " كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة: الأستاذ ابن العميد[2]، وأبو القاسم عبدالعزيز

---

(١) انظر ترجمته لدى (الثعالبي، ١٩٨٣: ٣/ ٢٢٥-٣٣٧)، وانظر أيضًا (مبارك، ١٩٧٥: ٢/ ٢٩٦- ٣١٥).

(٢) انظر ترجمته لدى (الثعالبي، ١٩٨٣: ٣/ ١٨٣-٢١٣)، وانظر أيضًا (مبارك، ١٩٧٥: ٢/ ٢٣٥- ٢٥٥)، و (الداية، ١٩٨٠: ١٦٥-١٦٨)، و (مناع، ٢٠١١: ٣٠١-٣٠٣).

ابن يوسف[١]، وأبو إسحاق الصابي[٢]، ولو شئت لذكرت الرابع، يعني نفسه" (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/ ٢٩٢). وقد حاول الباحث أن يربط بين هذه القراءات وما احتواه نهج البلاغة من خطب ورسائل، ثم علاقة أولئك الكتاب بجامع النهج، الشريف الرضي؛ فتكشفت أمور يمكن أن يبنى عليها بحثٌ أراه مهمًا؛ بعد معرفة العلاقة التي كانت تربط بين الشريف الرضي جامع النهج وأبي إسحاق الصابي، أحد كتاب الدنيا الأربعة الذين ذكرهم الصاحب بن عباد في مقولته. فتركزت الدراسة على هذه العلاقة، وحاولت التعمق فيها؛ لتبين ما إذا كان لها أي أثر في كتابة نهج البلاغة.

من هنا برزت عدة تساؤلات سيجيب عنها هذا البحث بشكل متتالٍ:

أولها: إلى أي حد كانت العلاقة بين الشريف الرضي[٣] وأبي إسحاق الصابي قوية ومتينة؟[٤]

لا بد من القول أن هناك فارقًا كبيرًا في السن بين الرضي والصابي يقدر بأكثر من خمس وأربعين سنة أو نحوها؛ فقد وُلد الصابي عام ٣١٣ه كما قال ياقوت الحموي (الحموي، ١٩٩٣: ١/ ١٣١)، نقلًا عن حفيد الصابي أبي الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي؛ فيكون عمره بذلك حوالي إحدى وسبعين سنة. ولكن يمكن أن يقال إنه ولد عام ٢٩٣ه بناء على أن عمره عند وفاته سنة ٣٨٤ه إحدى وتسعين سنة، حيث يقول في إحدى قصائده: (الثعالبي،١٩٨٣: ٢/ ٣٥٥، والصابي والشريف الرضي،١٩٦١ ص: ١٥، وفيه (ابن سبعين) بدلا من (ابن تسعين):

فقد حملت مني ابن تسعين سالكًا

ســـبيلًا عليها يسلك الثقلان

وقد كان إنشاء هذه القصيدة التي قيل فيها هذا البيت قبيل وفاته بعدة أشهر، أي في رجب من سنة

---

(١) انظر ترجمته لدى (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/ ٣٦٩-٣٨٢)، وانظر أيضًا (مبارك، ١٩٧٥: ٢/ ٤٣٥- ٤٤٠).

(٢) انظر ترجمته لدى (الحموي، ١٩٩٣: ١/ ١٣١-١٥٨)، كما ترجم له (الثعالبي، ١٩٨٣، وأورد مختارات من كتاباته وأشعاره: ٢/ ٢٨٧-٣٦٨)، وانظر أيضًا (قناوي، ١٩٣٧)، و(ضيف، ١٩٥٦: ١٤٨-١٥٢)، و (مبارك، ١٩٧٥: ٢/ ٣٥٣- ٣٦٧)، و (أبو رسلان، ١٩٨٧)، و (الديباجي، ١٩٨٩: ٥٣-١٢٤)، و(السعدي، ٢٠٠٩).

(٣) انظر ترجمته لدى (الثعالبي، ١٩٨٣: ٣/ ١٥٥-١٧٨)، و(مبارك، ٢٠١٢)، و(عباس، ١٩٥٩)، و(حسن، ١٩٧٠)، و(الداية، ١٩٨٠: ١٠٠-١٠٤)، و(المطرودي، ١٩٨٤)، و (الحلو، ١٩٨٦)، و(أبو عليوي، ١٩٨٦).

(٤) عن العلاقة بينهما انظر (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١)، و(الحلو، ١٩٨٦: ١/ ١٢٥-١٣٥)، و(أبو رسلان، ١٩٨٧: ١٠٠-١٢٨)، و(نور الدين، ١٩٩٠: ص ٧٣-٧٧)، و(السعدي، ٢٠٠٩، ص: ١٠٣-١١١).

أربع وثمانين وثلاثمائة للهجرة (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/ ٣٥٤، والصابي والشريف الرضي،١٩٦١ ص: ١٥)، ويقول الثعالبي عن وفاته: **"توفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وكانت سنوه إحدى وتسعين سنة قمرية"** (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/ ٢٦٣)، ويرجح الأستاذ عبد العظيم علي قناوي الرأي الأخير بأنه مات لتسعين سنة لعدة أسباب ذكرها في مقالته عنه (قناوي، ١٩٣٧: ٣٦). بينما ولد الشريف الرضي سنة ٣٥٩ه وتوفي سنة ٤٠٦ه[١]؛ فيكون عُمر الرضي عند وفاة الصابي خمسة وعشرين عامًا تقريبًا.

وعلى الرغم من ذلك الفارق الكبير في السن، فقد نشأت بينهما علاقة [٢] قوية لعدة أسباب منها العلاقة القديمة بين أبي أحمد الموسوي والد الشريف وأبي إسحاق الصابي (الحلو، ١٩٨٦: ١/ ١٢٦)، فقد كان أبو أحمد نقيب الطالبيين في ذلك العهد وأمير الحج[٣]، والصابي كان كبير كتاب الديوان الذي كتب العهد بتوليته حيث أسبغ عليه في ذلك العهد من المآثر والمزايا ما تتطلع إليه هامات الرجال[٤]. فمن الطبيعي أن تنشأ بينهما علاقة بدايتها تكون رسمية كعلاقة المسؤول بالمسؤول في الدولة، ثم تزداد متانة مع مرور الأيام حين تجمعهما المشتركات الاجتماعية والأدبية والنفسية بين شخصيتيهما. وقد سجنا كلاهما في الحقبة نفسها

(١) (ابن الأثير، ١٩٨٧: ٨/ ٩١)، وانظر (الحلو، ١٩٨٦: ١/ ٢١).

(٢) والأسباب التي ذكرها هي:

"أولاً: يكاد أبو منصور الثعالبي يعدُّ معاصرًا لأبي إسحاق الصابي؛ فقد توفي أبو منصور عقبه بنحو خمس وأربعين سنة، وهو أمد قصير في أعمار التاريخ والمؤرخين.

ثانيًا: السن التي ذكرها صاحب اليتيمة وردت في قصيدة لأبي إسحاق إذ يقول:

فقد حملت مني ابن تســـعين سالكًا

سبيلًا عليها يســـــلك الثقلان

وقد كان إنشاء هذه القصيدة قبل وفاته بنحو أربعة أشهر. =

= ثالثًا: قد يكون حفيد أبي إسحاق الصابي صادراً في حديثه عن غير ترو وتدبر؛ لأن حديثه يسمع وينسى، لا كما يصدر عن مؤلف يتحرى الصدق، ويلتزم جادة الدقة؛ لأنه خبر يخلد ويبقى.

رابعًا: سن السبعين لا توهي جلدًا، ولا توهن عظمًا، وإن كان صاحبها متزاحمة عليه النائبات، مولعة به النكبات إلا في القليل النادر".

(٣) تولى أبو أحمد نقابة الطالبيين أكثر من مرة، إحداها عام ٣٥٤ه (انظر ابن الأثير، ١٩٨٧: ٧/ ٢٩٠)، والأخرى عام ٣٨٠ه (انظر ابن الأثير، ١٩٨٧: ٧/ ٤٤٨)، ولمزيد من المعلومات عن أبي أحمد انظر (المطرودي، ١٩٨٤: ١٠-١٤)، و(الحلو، ١٩٨٦: ١/ ٢١-٥٤)، و(أبو عليوي، ١٩٨٦: ٦٧ وما بعدها).

(٤) انظر نص العهد لدى (الصابي، د.ت: ص ١٢٣- ١٢٥)، و(ابن حمدون، ١٩٩٧: ٣/ ٣٥٧-٣٦٠).

تقريبًا لمدد متقاربة. وإن اختلف مكان سجنهما؛ فأبو أحمد والد الرضي قُبض عليه، ورُحِّلَ إلى فارس، وسُجِن في إحدى قلاعها من عام ٣٦٩ه إلى عام ٣٧٢ه (ابن الأثير، ١٩٨٧: ٧/ ٣٩١ و٤٠٧)، وأما الصابي فسجِن في بغداد في دار المطهر بن عبدالله (ابن حمدون، ١٩٩٧: ٦/ ٣٦٣)، في المدة من عام ٣٦٧ إلى عام ٣٧١ه (ابن الأثير، ١٩٨٧: ٧/ ٤٠١، والحموي، ١٩٩٣: ١/ ١٣٥)[1]. وقد أمر بسجنهما عضد الدولة البويهي عندما سيطر على بغداد. وأطلق سراحهما ابناه بعد وفاته؛ الصمصام حاكم بغداد من بعده الذي أفرج عن الصابي، وشرف الدولة حاكم فارس الذي أفرج عن أبي أحمد الموسوي. كما رد شرف الدولة أملاك أبي أحمد المصادرة عندما استولى على بغداد عام ٣٧٦ه (ابن الأثير، ١٩٨٧: ٧/ ٤٢٨).

ومن أسباب توثق هذه العلاقة أيضًا استشراف الصابي لنباهة الشريف الرضي، وعلو قدره، وتنبؤه له بمستقبل زاهٍ؛ فقد كان الصابي – شأنه شأن كثير من الصابئة[2]– عالماً بالنجوم والتنجيم؛ فلعل قراءته لطالع الرضي أوحت إليه – في اعتقاده– بذلك والله أعلم. لذلك قال فيه: (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١: ص ٤٠، وانظر الشريف الرضي، ١٩٩٤: ٢/ ٨٩-٩٠):

أبا حســـــــن، لي في الرجال فراسة
تعودتُ منها أن تقول فتصـــــــدقا
وقـــــــد خبَّرتني عنك أنك ماجد
ســـــــترقى من العلياء أبعد مرتقى

---

(١) وحسب ابن الأثير، فإن سبب سجنه "أنه كان يكتب عن بختيار [المتولي على بغداد حينها]كتبًا في معنى الخُلف الواقع بينه وبين عضد الدولة فكان ينصح صاحبه؛ فمما كتبه عن الخليفة الطائع لله إلى عضد الدولة في المعنى، وقد لقب عز الدولة بشاهنشاه، فتزحزح له عن سنن المساواة، فنقم عليه عضد الدولة ذلك" ٧/ ٤٠١.

(٢) والصابئون كما يقول الإمام الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر... الخ الآية): بعد أن ذكر رأيين فيمن هم الصابئة قال: "وثالثها: وهو الأقرب أنهم قوم يعبدون الكواكب ثم لهم قولان؛ الأول: أن خالق العالم هو الله سبحانه، إلا أنه سبحانه أمر بتعظيم هذه الكواكب، واتخاذها قبلة للصلاة والدعاء والتعظيم. والثاني: أن الله سبحانه خلق الأفلاك والكواكب، ثم إن الكواكب هي المدبرة لما في هذا العالم من الخير والشر والصحة والمرض، والخالقة لها، فيجب على البشر تعظيمها؛ لأنها هي الآلهة المدبرة لهذا العالم، ثم إنها تعبد الله سبحانه). (الرازي، ١٩٨٣: ٣/ ١١٣). وعن الصابئة انظر (الشهرستاني، ١٩٦٨: ٢/ ٦٣-١١٥)، و(عليان، ١٩٧٦)، و(الحسني، ١٩٧٨)، و(أبو رسلان، ١٩٨٧: ص: أ-م)، و(حمادة، ١٩٩٢)، و(برنجي، ١٩٩٧)، و(المدني، ٢٠٠٩)، و(سيوفي، ٢٠١٠)، و(شكر، ٢٠١٦).

فوفَّيتك التعظـــــــــيم قبل أوانه
وقلت: أطـــال الله للســـيد البقا
وأضمرت منه لفظـــــة لم أبح بها
إلى أن أرى إطلاقهـــــا لي مطلقا
فإن عشت أو إن مت فاذكر بشارتي
وأوجـــــبْ بها حقاً عليك محققاً
وكـــن لي في الأولاد والأهل حافظاً
إذا ما اطمأن الجنب في موضع البقا

وقد تفاعل الشريف الرضي مع هذه القصيدة، وصدق تلك النبوءة؛ فقال مجيبًا للصابي مستعيرًا بعض ألفاظه: (الشريف الرضي، ١٩٩٤:٢/ ٩٠-٩٢، والصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٤٤):

وإن تُسْلِف التبجيل قبل أوانه
أُعِضْكَ به وجهًا من الود مونقا
وإن تعطني الإعظام قولًا فإنني
سأعطيك فعلا منه أذكى وأعبقا
لعل الليالي أن يبلغـــن مُنْيَةً
ويقرعن بي بابًا من الحظ مغلقا...
فإن قعدت بي السن عنها فإنه
سينهض بي مجدي إليها محققا
فو الله لا كذبت ظنـــك إنه
لعارٌ إذ ما عاد ظنك مخفقـــا

ولم يكتف بإضمار عزمه على الاستيلاء على الخلافة في نفسه، بل إنه بدأ يفكر في هذا الأمر بصوت مسموع، حيث قال: (الشريف الرضي، ١٩٩٤: ١/ ٢٥٣):

دعني أخاطر بالحيـــــاة وإنما
طلب الرجال العز ضرب قداح
أما لقاء المُلك قســـرًا، أو كما
لقى ابن حجر من يدي الطماح

بل إنه تخيل نفسه توج بالخلافة، وأصبح أميرًا للمؤمنين حين قال: (الشريف الرضي، ١٩٩٤: ١/ ٤٠٩):

هذا أمير المؤمنـــين محمـــد
كرمت مفارســه وطال المولد
أَوَ ما كفاك بأن أمـــك فاطم
وأبوك حيدرة وجدك أحـــمد

ودلالة على توثق الصداقة بينهما، فإن الصابي هو الذي كتب العهد الذي كلف بموجبه الرضي بعمل والده؛ حيث كان أبوه أبو أحمد الموسوي نقيب الطالبيين، وكان أميرًا للحج في زمن الخليفة وناظرًا في المظالم قبل عزله وسجنه، وبعد خروجه من السجن أعيدت له مناصبه على أن يقوم ابنه الرضي بمهامه بعد أن ضعف وكبرت سنه، وذلك عام ٣٨٠هـ، وأضيف إلى الرضي تقليده منفردًا النظر في أمور المساجد بمدينة السلام (الصابي والشريف الرضي،١٩٦١ ص ٧٣). فكتب الصابي ذلك العهد الذي كلف بموجبه الرضي بهذه المناصب الكبيرة،

بطلب من الشريف الرضي نفسه كما سيمر معنا في أثناء هذا البحث.

ولقد ازدادت هذه العلاقة توثقًا بين الشريف الرضي والصابي من قبل كتابة هذه العهود وبعدها، واستمرت سنوات في حياة الصابي، وبقيت حتى بعد موته؛ فقد كانت بينهما زيارات متبادلة، ومراسلات كتابية، وقصائد شعرية، أثنى كل واحد منهما على صاحبه، حتى ذكر ياقوت أن بينهما **"مودة ومكاتبات...مع اختلاف الملل وتباين النحل، وإنما كان ينظمهم سلك الأدب، مع تبدد الدين والنسب"** (الحموي،١٩٩٣: ١/ ١٣١)؛ فإذا كان الصابي توسم في الرضي النبوغ والوصول إلى مراتب عالية، ومناصب سامية كما بينتها أبياته السابقة، فإن الرضي بادله الثناء بالثناء والمودة بالمودة والتقدير بالتقدير، وزاد عليه بالتفدية بالعمر والشباب، فقال فيه: (الشريف الرضي، ١٩٩٤: ٢/ ٥٤١-٥٤٢، وانظر الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١:ص ٢٥):

ولو أنّ لي يوماً على الدهـــر إمرةً
وكان ليّ العدوى على الحدثـــان
خلعتُ على عطفيك بُرد شـــبيبتي
جَواداً بعمري واقتبال زمـــــاني
وحَمّلتُ ثقل الشيب عنك مفارقي
وإن فَلّ من غربي وغضّ عنـــاني
ونابَ طويلاً عنك في كُل عارضٍ
بخطٍ وخطوٍ أخمصـــــي وبناني

وعندما توفي الصابي رثاه الشريف الرضي بقصائد متعددة، منها قوله من قصيدة رثاء طويلة بلغت أكثر من ثمانين بيتًا: (الشريف الرضي، ١٩٩٤: ١/ ٣٨١-٣٨٥، وانظر الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١: ص ٤٥-٥٥):

أعَلمْتَ مَنْ حَمَلـــُوا عَلى الأعْوَادِ
أرَأيْتَ كَيْفَ خَبـــَا ضِيَاءُ النّادِي
جَبَلٌ هَوَى لوْ خَرّ في البَحرِ اغتَدى
مِنْ وَقْعِهِ مُتَـــــــــتَابِعَ الإزْبَادِ
ما كنت أعلم قبل حطك في الثرى
أن الـــــــثرى يعلو على الأطواد
بعداً ليومك في الزمـــــــان فإنه
أقذَى العُيـــُونَ وَفَتّ في الأعْضَادِ
لا يَنْفـــــــَدُ الدّمْعُ الذِي تُبْكَى بِهِ
إنّ القُـــــــلُوبَ لَهُ مِنَ الأمْدَادِ...
ثكلتـــــك أرض لم تلد لك ثانياً
أنّى وَمِثْلُكَ مُعْـــــــــوَز المِيلادِ
مَنْ للبَلاغَـــــةِ وَالفَصَاحَةِ إنْ هَمَى
ذاك الغمـــــام وعبَّ ذاك الوادي
من للملـــــــوك يجز في أعدائها
بِظُبًى مِنَ القَـــوْلِ البَلِيـــغِ حِدَادِ؟

من للممالك لا يـزال يلمهـــــــا
بســـــــــداد أمر ضائع وسداد؟
مَنْ للجَحَافِـــــلِ يَسْتَزِلُّ رِمَاحَها
ويرد رعلتها بغـــــير جـــــلاد؟
من للمـــــــوارق يســـترد قلوبها
بِزَلازِلِ الإبـــــــــرَاقِ وَالإرْعَادِ؟
وَصَحَـــــــايفٍ فِيهَا الأَرَاقِمُ كُمَّنٌ
مرهوبـــــة الإصدار والإيـــــراد
تدمى طوائعها اذا اســـــتعرضتها
مِنْ شِـــــدّةِ التّحْذِيرِ وَالإيعـــــَادِ
حمـــــر على نظر العـــــــدو كأنما
بدم يخـــــــــــط بهن لا بمـــداد
يُقْدِمْنَ إقْدامَ الجُيُـــــوشِ، وَباطِلٌ
أنْ يَنْهَزِمْنَ هَزَائِـــــــــمَ الأجْنَادِ
فِقَرٌ بها تُمســـــــــــي الملوك فقيرةً
أبَداً إلى مَبْـــدى لَهَا وَمَعَـــــــــادِ
وتكون صوتًا للحـــــرون إذا ونى
وَعِنَانَ عُنْقِ الجامِـــــــحِ المُتَمادي
تَرْقي، وَتَلذَعُ في القلوبِ، وَإن يَشَا
حَطَّ النّجُومَ بِهَا مِنَ الأبْعَـــــــادِ

وقد أخذ معاني البيتين السادس عشر والسابع عشر من معاني الصابي وألفاظه، دلالة على التعلق به، وعمق الصلة بينهما، وتغنيًا بالشعر الذي كان الصابي يفخر فيه بنفسه، حين قال: (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/ ٣٢٢، وابن حمدون، ١٩٩٧: ٥/ ٣٩٩):

ولي فِقرٌ تضحي الملوك فـقيرة
إليها لدى إحداثها حين تطرقُ
أردُّ بها رأس الجموح فينثـــني
وأجعلها سوط الحرون فيُـعتقُ

واستمر وفيًا له بعد موته لسنوات طويلة، حتى إذا مر على قبره بعد عشر سنوات رثاه، مؤكدًا وفاءه للصابي، وتقديره له بقوله: (الشريف الرضي، ١٩٩٤: ٢/ ٧٥-٧٦، وانظر الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١:ص٦١-٦٢):

لولا يذم الركب عندك موقفي
حَيّيْتُ قَبْرَكَ، يَا أَبَا إســـــحَقِ
كَيفَ اشتياقُكَ مُذْ نأيتَ إلى أخٍ
قَلِقِ الضّمِيرِ إلَيْكَ بِالأشْـــوَاقِ
هل تذكر الزمن الأنيق وعيشنا
يحلو على متأمـــل ومـــــذاق
لا بد للقربـــــاء أن يتزايلـــوا
يَوْماً، بعُذْرٍ قِلَىً وَعُـــــذْرِ فِرَاقِ
أمضي وتعطفني إليك نـــوازع
بتنفس كتنفـــس العشـــــــاق
وأذود عن عيني الدموع ولو خلت
لَجَرَتْ عَلَيْكَ بِوَابِلٍ غَيـــداقِ
وَلَوَ أنّ في طَرْفي قَذاةً مِنْ ثَرًى
وَأرَاكَ مَا قَذّيتُهَا مِنْ مَـــاقي

إن تمضِ فالمجد المرجب خالـد
أو تفن فالكلم العظـــام بواقي
مَشحُوذَةٌ تَدْمَى بِغَيرِ مَضـارِبٍ
كالسيف أطلق في طلى الأعناق
يقبلن كالجيش المغير يؤُمـــه
كَمِشُ الإزَارِ مُقَلِّصٌ عَن سَاقِ
قرطات أذان الملـوك خليقـــة
بمواضع التيجان والأطـــواق
عقدوا بها المجد الشرود وأثلوا
دَرَجاً إلى شَرَفِ العُلَى وَمَـرَاقي
أوْتَرْتَهَا أيّامَ بَاعُـكَ صـــلَّبٌ
وَكَدَدْتَهَا بالنّزْعِ وَالإغْـــرَاقِ
حَتّى إذا مَرِحَتْ قُوَاكَ شَدَدْتَهَا
باسم على عقب الليالي باقـي
كَنَجَائِبٍ قَعَدَتْ بِهَا أرْمَاقُـهَا
مَحسُورَةً، فَمَشـــيَنَ بِالأعْرَاقِ

كما رثاه نثرًا في إحدى رسائله فقال عنه: **"فأعزز علي بذلك الوجه الوضاح واللسان الخطار، كيف سكن بعد النَّزَوَان؟ ووقف بعد الجَوَلَان؟ وذلك الجنان الذي كان ينبوع البلاغة، وقرارة الفصاحة، كيف غاض بعد الجِمَامِ حوضُه، وصَوَّحَ بعد الاخضرار روضُه؟ وتلك الأنامل التي كانت منابت البيان، ومغارس الإحسان، كيف عاث البِلَى في أطرافها؟ وتحَيَّفَ الزمان من أقطارها؟... لقد وجدتُ به وَجْدَ الرؤوم بِبِكْرِهَا وقد فَقَدَتْهُ، والبَغُومِ بطُلاها وقد أَضَلَّتْهُ، وسلبنيه الزمان آنس ما كنت بفضله، وأحوج ما كنت إلى مثله، شاحذًا لخاطري في المناقشة، وحافظًا لسري عند المُبَاثَّةِ"** (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١: ص١٠٧).

ولا شك أن علاقة بهذا الرسوخ، وصداقة بهذا العمق لابد أن تنطوي على محبة صادقة، ومودة خالصة، ومن الواجب أن ينتج عنها، وتترتب عليها أمور مهمة، ليس أقلها تلبية كل طرف لمطالب صاحبه، بل والمبادرة لتلمس احتياجاته، وسد خلته. فهل استفاد كاتب النهج من أبي إسحاق الصابي عند كتابة نهج البلاغة؟

لابد من القول بأن الرضي كان معجبًا أيما إعجاب بقدرة أبي إسحاق الأسلوبية العالية في الكتابة، وثقته بتمكنه من ناصيتها. وقد عبر الشريف الرضي عن إعجابه ذلك شعرًا ونثرًا في كثير من المناسبات، وفي كل القصائد والمقطوعات النثرية التي رثاه بها التي مرت معنا قبل قليل، ومن ذلك أيضًا ما قاله في إحدى المناسبات، مخاطبًا الصابي بعد أن شكا إليه حاله الضعيفة، وعدم قدرته على الحركة، إلا أن يحمل على المحفة عند قضاء حوائجه: (الشريف الرضي، ١٩٩٤: ٢/ ٥٤١، وانظر الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١: ص٢٤، وابن حمدون، ١٩٩٧: ٤/ ٤٢٥):

لئن رام قبضا من بنانك حادث
لقد عاضنا منك انبساط جنان

وإن بُزّ من ذاك الجناح مطـــــاره

فرب مقال منك ذي طـــــيران

وإن أقعدتك النائبات فطـــــالما

سرى موقراً من مجدك الملـــــوان

وإن هدمت منك الخطوب بمرها

فثم لســـــان للمناقـــب بان

مآثر تبقى ما رأى الشـــمس ناظر

وما ســـــمعت من سامع أذنان

ويقول مخاطبًا له في إحدى رسائله: **"وبحره –أدام الله عزه– وإن كثر انتزاحه من جماته، وطال امتياحه من دفعاته، فهو البحر الذي لا يكدره نهز الدلاء، ولا ينفذ لججه تناوب الظماء، ولا تنقصه واردات الهموم بورودها، ولا وافدات النوائب بوفودها، بل كلما زاد تزاحم وارديه ازداد تدافعًا غواربه وهواديه. وإنما ينزح الدهر بكروره، وينقص الزمان بمروره، قليبًا في قلب غيره لا مصاب عليه، ولا مواد له، ولا يفيض إلا لمعًا، ولا يجود إلا مكدودًا مستكرهًا، فكيف ببحرٍ مدافعُ الكلام تدفع غررَهَا إليه، وشِعابُ الأفكار تتقابل مسائلُها عليه، فأقول كما قال أبو الطيب المتنبي:**

فلا غيضت بحارك يا جمومًا

على علل الغرائب والدخال"

(انظر الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٧٤-٧٥).

لذا فإنه من الراجح أن بلاغة الصابي وفصاحته، وقدرته العالية على الإنشاء، وانسيابيته في الأداء الكتابي، حتى عده الصاحب بن عباد أحد:" كتاب الدنيا وبلغاء العصر" (انظر الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/ ٢٩٢)، هي التي رشحته لدى الرضي ليُسْتَفَادَ من أسلوبه وطريقته عند الكتابة باسم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ليكون للصابي تأثير واضح–وإنْ بطريقة غير مباشرة–في كتابة نهج البلاغة. ولا غرو في ذلك، فبالإضافة إلى بلاغته وفصاحته، فإن شخصية أبي إسحاق الصابي تميزت بالقدرة اللغوية البارعة، والثقافة الأدبية الواسعة، والموهبة الشعرية الراقية، والإلمام بعادات العرب وأخلاقهم وتقاليدهم في الجاهلية والإسلام، حتى أصبحت بلاغته ورسائله موضع شوق وسلوة، يستمتع الجمهور بقراءتها، والاطلاع عليها، يقول أحد الشعراء: (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/ ٢٨٧، وانظر الحموي، ١٩٩٣: ١/ ١٣٢):

أصبحت مشتاقًا حليف صـــبابةٍ

برسائل الصابي أبي إســـــحاق

صوب البلاغة والحلاوة والحجى

ذوب البراعة ســـــلوة العشاق

طورًا كما رق النســـــيم، وتارة

تحكي لنا الأطواق في الأعـــناق

لا يبلغُ البلغاءُ شـــــأوَ مُبرِّزٍ

كُتبتْ بدائعُه على الأحـــــداقِ

ويقول الآخر: (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/ ٢٨٨، وانظر الحموي، ١٩٩٣: ١/ ١٣٢):

يا بؤس من يمنى بدمعٍ ساجمٍ
يهمي على حجب الفؤاد الواجم
لولا تعللـــــه بكأس مدامـــةٍ
ورسائلِ الصابي وشعرِ كَشَاجمِ

كما أن لديه القدرة الكبيرة على التعبير عن نفسه، وعلى التعبير عن الآخرين والكتابة باسمهم شعرًا ونثرًا، لذلك قيل عنه في مقارنة بينه وبين الصاحب بن عباد: إنَّ **"الصاحب كان يكتب كما يريد، وأبو إسحاق كان يكتب كما يؤمر"** (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/ ٢٩٢). وقد وصف الثعالبي هذه العبارة أنها من أشفى ما سمعه، وأكثرها دلالة على توصيف ما يقوم به الصابي (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/ ٢٩٢)، كما أنها ترجح كفة الصابي لتميزه في الكتابة عن نفسه وعن غيره، بينما الصاحب متميز في الكتابة عن نفسه لا عن غيره.

ومن طالع رسائله يجد صحة هذه المقولة في كتابته بالنيابة عن أناس متعددين، ابتداء من الخليفة وانتهاء بأشراف الناس، بل وكتابته عن الحادثة الواحدة نيابة عن عدة أشخاص بأساليب مختلفة؛ فها هو يكتب – مثلًا – عن عز الدولة مهنئًا لعضد الدولة بفتح جبال القفص والبلوص، فيقول: **"وصل كتاب سيدي الأمير عضد الدولة أدام الله عزه، بما سهله الله وعلى يده، ويسره بيمنه وبركته، من فتح جبال القفص والبلوص، وما بلغوا [هكذا، والصحيح بلغه] أدام الله علوه من أهلها المعادين، كانوا للملة العادلين عن سبيل الله[هكذا]** (١)**،حتى استنزلهم عن معقل بعد معقل، واستباحهم في موبل بعد موبل، وقتل حماتهم وأفنى كماتهم، وأباد خضراءهم وغبراءهم، وعفى معالمهم وآثارهم، وألجأهم إلى الإذعان وطلب الأمان، وتسليم الرهائن، والإفراج عن الذخائر، والدخول في عصمة المسلمين"** (انظر الصابي، د.ت: ص ٥٥). ويكتب عن الوزير ابن بقية عن الحادثة نفسها: **"وصل كتاب مولانا الأمير عضد الدولة أطال الله بقاءه، مبشرًا بما وليه الله به من الفتح العظيم، والمنح الجسيم في الإيقاع بطوائف القفص والبلوص، ومقتصًا حالهم كانت في المقام على المعهود من كفرهم وضلالهم وعيثهم وفسادهم، واستحلالهم ما حرم الله من أموال أهل الملة والذمة ودمائهم، وما كان بلغه أيده الله في إطفاء نائرتهم، وإخماد جمرتهم، واستنزالهم عن معاقلهم، والإيغال في طلبهم، والنكاية فيهم، والإثخان لهم، حتى كفوا ونزعوا واتعظوا واتزعوا"** (انظر الصابي، د.ت: ص ٥٧). كما كتب هو عن نفسه مهنئًا عضد الدولة بهذا الفتح فقال: **"وقد استنجحت بما تلقاني من الخبر السار المبهج، والنبأ المؤنس المغبط، فيما ولى الله مولانا الأمير الجليل عضد الدولة به، من**

(١) وهو خطأ في ترتيب ألفاظ الجملة، وربما أن الصحيح: الذين كانوا عن سبيل الله والملة من العادلين.

الظفر بطوائف القفص والبلوص، والاستباحة لهم، والإتيان عليهم، والإدالة من مضارِّهم، والاقتصاص من سالف معارِّهم، والاشتمال عليهم بالبأس الشديد، والنصر العزيز، والقتل الذريع، والأسر العنيف، بعد تقديم الإعذار والإنذار، واستعمال الإبقاء والإنظار" (انظر الصابي، د.ت: ص ٦١).

فهذه ثلاثة نماذج من كتابة أبي إسحاق في موضوع واحد، بثلاثة أساليب مختلفة، كتبها بقلمه نيابة عن ثلاث شخصيات متعددة، إحداها عن نفسه هو، لكنها مع ذلك متقاربة الأسلوب، يعرف من يقرأها أن كاتبها واحد، مما يدل على قدرته على تقمص الشخصيات وتعدد المواهب، كما يؤكد ما قيل عنه من أنه يكتب كما يراد له أن يكتب.

بل إنه كان يؤلف عن الآخرين كتبًا؛ فقد كلفه عضد الدولة البويهي تخفيفًا له من عقوبة السجن، بتأليف كتاب عن أخبار الدولة البويهية وتاريخها، **"فعمل الكتاب، فكان إذا ارتفع جزء منه حمل إلى الحضرة العضدية حتى يقرأه ويتصفحه ويزيد فيه وينقص منه، فلما تكامل على ما أراده، حرر وحمل كاملا محررا، فيقال: إنه قرئ عليه في أسبوع"** (الحموي، ١٩٩٣: ١/ ١٣٨)، فها هو الصابي ألف الكتاب المطلوب منه تأليفه، على الرغم من عدم اقتناعه بما يكتب، حيث روي عنه أنه كان يقول عندما سئل عن عمله التأليفي هذا، وسط انشغاله بالتعليق والتغيير التبديل والتسويد والتبييض: **"أباطيل أنمقها، وأكاذيب ألفقها"** (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/ ٢٩١، وانظر الحموي، ١٩٩٣: ١/ ١٣١).

ولم تقتصر إعانته للآخرين على النثر، بل أعان بالشعر أيضًا؛ فقد حدث أبو الحسن محمد بن عبدالله الهاشمي أبا علي المحسن ابن أبي إسحاق الصابي قائلًا له: "أعانني والدك أبو إسحاق إبراهيم بن هلال في هجائي خمرة المجنونة بالشيء الكثير"(الحموي، ١٩٩٣: ١/ ١٥٥).

ومن دلائل أنه يكتب كما يراد، أنه كتب أكثر من عَهْدٍ عُهِدَ به إلى الشريف الرضي؛ فكان للأخير إسهام كبير في توجيه الصابي للطريقة التي كتب بها العهد من حيث إعطاؤه الصلاحيات الواسعة، وإطلاق يده في التصرف بأعمال نقابة الطالبيين؛ حيث جاء في رسالة بعثها الشريف الرضي إلى أبي إسحاق الصابي يرسم له الطريقة التي يراها مناسبة، والنموذج المثالي الذي يرتضيه الشريف الرضي، ويرضي طموحه في كتابة العهد الذي سيعهد به إليه: **"هذا ما عهد فلان إلى فلان: ويذكر الخدمة القديمة، والحرمة الوكيدة التي للوالد أدام الله عزه في هذه الدولة سالفًا وآنفًا، وأولًا وآخرًا، ثم الإشارة إلى الخدمة التي اختصصت [بها] منفردًا واشتملت على أطرافها مستبدًا، وأن ذلك اقتضى الإبقاء بي على غارب هذه المرقبة العلية، وكاهل هذه الرتبة السنية، وتُسْتَقْصَى الأوامرُ كلها، ويُؤْتَى على**

شروط النقابة بأسرها، ويقال: فأفردناك بمكان أبيك من النقابة على أهلك وذويك في كل البلاد شرقًا وغربًا وبعدًا وقربًا، ونطنا بك النظر في مصالح المساجد بمدينة السلام لتسد خللها، وتلم شعثها. وجعلنا إليك مع ذلك خلافة والدك على المظالم والتسيير بالحجيج في أيام المواسم...ويعتمد التطويل في هذا العهد؛ فإنه أطول لشكري، وأبعد لغاية امتدادي ونشري إن شاء الله وهو حسبي ونعم المعين" (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٧٣-٧٥)[1]. وكتب إليه مرة أخرى يطلب منه كتابة عهد آخر لمنصب وعده به الخليفة الطائع لله منها قوله: **"وقد شُرِعَ لي الآن في كيت وكيت من الأعمال، والذي أسأله، أدام الله تأييده، أن يفرغ لي نفسه النفيسة، حرسها الله، في إنشاء عهد إليَّ بذلك، عن مولانا أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، جاريًا على رسمه في إيراد الغرر، وإزواج الفقر، والاستكثار من المعاني المضيئة، والألفاظ الجلية...كما فعل بالعهد المتقدم له"** (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٧٩)، وقد كان الرضي راضيًا تمام الرضا عن العهد السابق، ويرى أن ما تحقق له من إتمام ذلك العهد على وجه السرعة، إنما هو من بركات الصابي الذي كتبه؛ فقال في رسالته مكملاً: **"وقد كان، أدام الله تأييده، تفضل بإنشاء العهد الذي سألته إنشاءه بتقليد النقابة وتجديد الولاية، وكان عهداً ميمون النقيبة مبارك الشيمة، لأن الأمر الذي التمس له انتجز سريعاً، وإنقاد مطيعاً"** (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٧٩).

ونظرا لطبيعة مهنته، وهي الكتابة للخلفاء والوزراء، فإنَّ الصابي يتميز بالثقافة الإسلامية الواسعة، والعلوم الشرعية المتنوعة، وبحفظ القرآن الكريم، وكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، حتى وصفه أبو منصور الثعالبي بأنه كان **"يحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه وسن قلمه" (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/ ٢٨٨)**، ويضيف قائلًا: **"وبرهان ذلك ما أوردته في كتاب الاقتباس من فصوله، التي أحسن فيها كل الإحسان، وحلاها بآي من القرآن"** (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/ ٢٨٨)[2].

كما يتميز الصابي بالأخلاق العالية والصفات الجليلة السامية؛ فقد أحبه الكثير من رؤسائه من الخلفاء والوزراء، ومرؤوسيه من الكتاب وموظفي الدواوين حتى قال أبو منصور الثعالبي عنه في تلك الناحية من خلقه وأدبه: **"كان يعاشر المسلمين أحسن عشرة، ويخدم الأكابر أرفع خدمة، ويساعدهم على صيام شهر رمضان"** (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/ ٢٨٨، وانظر الحموي، ١٩٩٣: ١/ ١٣٢).

---

(١) انظر نص العهد الذي كتبه أبو إسحاق للشريف الرضي لدى (ابن الأثير، د.ت: ١/ ٢٢١-٢٢٦).

(٢) انظر عن اقتباسات الصابي من القرآن الكريم والسنة النبوية والشعر والأمثال لدى (السعدي، ٢٠٠٩: ص: ٢١٦-٢١٩).

وكان التواضع من أبرز صفاته، فعندما استجاب الصابي لنداء الرضي؛ وكتب ما طلبه منه، أرسله إليه مع خطاب اعتذار عن التقصير، وتواضع منه، وهو الكاتب الكبير أمام صديقه الشاب الطامح، يقول فيه: **"والآن فأمره المسموع المطاع، وقد تلقيته بالبدار والإسراع...والله يا سيدي لو كتبت أنت ما استكتبتنيه، وكفيت نفسك ما استكفيتنيه، لكنت أجرأ مني يداً ولساناً، وأطول شأواً وميدانًا، وأكثر إصابة وإحسانًا"** (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٧٦). وفي خطاب آخر يكرر الصابي مقولته بكل تواضع، بأنه ودَّ لو تولى الرضي كتابة ما يريده بنفسه حين قال: **"وأنا أمتثل ما رسمه أدام الله تأييده في أمر العهد الثاني على ما حده ومثله ورتبه وقرره. ولولا تخوفي من مخالفة مراسمه، وتحرجي من الوقوف عن أوامره، لما أجبت إلى هذه الحال، علماً مني بأنه- أدام الله تأييده- إذا تولاها بنفسه، ورماها بالعفو من هاجسه، كان أفرس مني على حصانها، وأحذق بتصريف عنانها"** (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٨٠).

ومن أخلاقه العالية أيضًا، حفظه للأسرار، وكتمانها عن البعيد والقريب، وفيما يبدو فقد كان بين الرضي والصابي أسرار يكتمانها أشارا إليها كلاهما؛ الأول حينما قال في رثاء صاحبه:**" لقد وجدتُ به وَجْدَ الرؤوم بِبِكْرِهَا وقد فَقَدَتْهُ، والبَغُومِ بطلاها وقد أَضَلَّتْهُ، وسلبنيه الزمان آنس ما كنت بفضله، وأحوج ما كنت إلى مثله، شاحذا لخاطري في المناقشة، وحافظًا لسري عند المُبَاثَّةِ"** (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ١٠٧)، والصابي عندما أرسل إلى الشريف خمس مقطوعات موضوعها حفظ السر سائلًا له أن يحكم فيها، ويختار الأفضل منها، فيرد عليه الآخر بالثناء والإعجاب (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٨٢-٩٣)، وقد كان تفضيل الشريف الرضي للمقطوعة الآتية من بين مقطوعات الصابي الأخرى، معللًا ذلك بأسبابٍ ذكرها في جوابه: (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٩١-٩٢، وابن حمدون، ١٩٩٧: ٣/ ١٥٣-١٥٤، والنويري، ٢٠٠٤: ٦/ ٨١):

وللســـر فيما بين جنـــــبي مكمن
خفي قصـــــي عن مدارج أنفـــاسي
أضن به ضـــني بموضع حفظـــــه
فأحميه عن إحساس غيري وإحساسي
فقد صار كالمعدوم لا يســـــــتطيعه
يقين ولا ظن بخـــلق من النـــــاس
كأني من فرط احتفـــاظي أضعـــته
فبعضـــــي له واعٍ وبعضـــي له ناسي

ومن ضمن جواب الرضي لصاحبه الصابي تعليقًا على المقطوعة السابقة قوله: **"وإنما الفضيلة لمن إذا أودع سرًا كان نجيًا لفكره، وضجيعًا لذكره، ومصورًا في أقصى أحشائه، ومطبوعًا في طينة سويدائه، وهو مع ذلك يزُمُّهُ ويخْطِمُهُ، ويحفظه ويكتمه"** (الصابي

والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٩٣).

فما هو السر الذي كانا يكتمانه؟ وهل إرسال الصابي هذه المقطوعات الشعرية إلى الشريف الرضي تعبير عن تعهد منه بحفظ سر صاحبه؟ وهل ثناء الرضي على المقطوعات، والإشادة بمعانيها وألفاظها إقرار منه على هذا التعهد؟ ربما كان ذلك كذلك.

ولعل السر الذي كانا يكتمانه هو استفادة كاتب النهج من أسلوب الكاتب المبدع أبي إسحاق الصابي في الكتابة، وأدائه في التعبير عن نفسه وعن الآخرين.

وهنا يأتي تساؤل مهم آخر وهو: هل أثَّر أبو إسحاق الصابي فعليًا في كتابة نهج البلاغة؟ وإذا حدث هذا فما هي دلائل حدوثه؟

لا شك أن هذا تساؤل كبير وخطِير في الوقت نفسه؛ نظرًا للقداسة التي نظر بها إلى نهج البلاغة، ونظرًا إلى نسبته إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وللهالة الكبيرة التي أضفيت على جامعه الشريف الرضي رحمه الله.

لكن يمكن القول أن السنين العشر التي أمضاها الشريف الرضي في علاقته الحميمة مع أبي إسحاق الصابي كانت هي المدة التي نما فيها الرضي ونبغ، وبلغ مبلغ الرجال من سن الخامسة عشرة إلى الخامسة والعشرين تقريبًا، واتضحت له معالم الطريق، ورسم طريقه في الحياة، وبلغ طموحه مبلغه (الحلو، ١٩٨٦: ١/ ١٢٩-١٣٠، والمطرودي، ١٩٨٤: ١١١-١١٦، والمطرودي، ١٩٩٢: ص ٤٢٠-٤٢٣)؛ فأراد أن يضع بصمة، ويترك أثرًا، وينجز مهمة تقيده في سجل الخالدين، بتأليف نهج البلاغة الذي ارتبط اسمه باسم جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي كان يتشيع له، ويفخر به، ويغالي في حبه والدفاع عنه (انظر الشريف الرضي، ١٩٧٧، مقدمة المحقق عبدالفتاح الحلو: ١/ ٤٦-٤٨، والحلو، ١٩٨٦: ١/ ٩٦ وما بعدها)، ولعل مما زاده حرصًا على إظهار الكتاب ما يرى من عدم تمكنه من بلوغ مراتب سياسية عليا بلغها خلفاء وملوك وأمراء لا يدانونه في الشرف، ولا في المواهب، ولا في الكفاءة، فها هو يخاطب الخليفة القادر بالله، ويتعالى عليه، ويرى أنه لا يقل عنه مرتبة وشرفًا وفخارًا، ما عدا مرتبة الخلافة: (الشريف الرضي، ١٩٩٤: ٢/ ٤٢، وانظر الثعالبي، ١٩٨٣: ٣/ ١٦٣-١٦٤):

عطفًا أمير المؤمنين فإننا
في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت
أبدًا كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك فإنني
أنا عاطل منها وأنت مطوق

فكأنه يريد منافسة هؤلاء الخلفاء في أمر لا يستطيعون مجاراته فيه. ولم ير غضاضة في الاستعانة بأسلوب صاحبه وخليله أبي إسحاق الصابي -خير

كتاب زمانه فصاحة وبلاغة ومتانة أسلوب- عندما أراد أن يكتب عن جده علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأن يقتفي أثره، وقد يستعين ببعض ما كتبه أبو إسحاق نفسه؛ فإذا كان الصابي يكتب باسم الخلفاء والوزراء، فعلي أولى منهم بذلك في رأي الرضي، وبخاصة أن التأليف هو بإشرافه شخصيًا بوصفه حفيد أمير المؤمنين والنائب عنه.

وعلى الرغم من أن كتاب نهج البلاغة لم يخرج إلى الوجود إلا بعد وفاة الصابي بسنوات ذوات عدد؛ أي أن الرضي أخرجه بعد الأربعمائة للهجرة (نور الدين، ١٩٩٠: ص ٢٣)، بينما توفي الصابي قبل ذلك بأكثر من خمسة عشر عامًا، فربما أن الرضي تعمد تأخير إخراج الكتاب حتى ينسى الناس أبا إسحاق، وتخمد الهالة التي كانت تصاحب كتاباته عند صدروها.

أما دلائل أثر أبي إسحاق الصابي في كتابة نهج البلاغة فإنه بالنظرة العلمية المتجردة، وبتطبيق المنهج الأسلوبي المقارن[1]، وبمقارنة أسلوب كتابة بعض خطب النهج مع أسلوب كتابة أبي إسحاق الصابي، يمكن ملاحظة التشابه الكبير، والتطابق العجيب في كثير من المواقع، وفي كثير من الألفاظ، وفي مقدمات الخطب، وبخاصة التحميدات في أوائلها، وفي الصلوات على الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي وصف القرآن الكريم، وفي أوصاف أخرى، بحيث لو وضع نصان أحدهما من نهج البلاغة، والآخر من ترسُّل أبي إسحاق الصابي، فلن يستطيع القارئ التفريق بينهما، أو تحديد أيهما من نهج البلاغة وأيهما من كتابات الصابي.

فإذا أخذنا إحدى التحميدات الواردة في النهج

(١) الأسلوبية المقارنة هي منهج "يدرس أساليب الكلام في مستوى معين من مستويات اللغة الواحدة... ويعمد إلى المقارنة بين الأساليب لتبين خصائصها عن طريق مقابلتها بغيرها" (انظر الطرابلسي، ١٩٨٢: ص٨٧). فشرطا "الأسلوبية المقارنة "هما دراسة الأساليب ومقارنتها في لغة واحدة، وبين نصين أو أكثر. ويشترط في هذه النصوص" حد أدنى من الاشتراك... قد يكون = =اشتراكا في الموضوع، أو الغرض العام... أو اشتراكا في المؤلف مع اختلاف في الموضوع أو الغرض، أو في جنس الكتابة، كما يكون الاشتراك في نوع الأسلوب فقط...ولا شك أن مجال الدراسة يكون أوسع ونتيجة البحث أثمر كلما كانت عناصر الاشتراك بين الأثرين أكبر" (الطرابلسي، ١٩٨٢: ص٨٨). وحق هذه المنهجية أن تسمى "الأسلوبية الموازنة" لأنها في نطاق لغة واحدة، لكنها عُرفت بهذا الاسم "الأسلوبية المقارنة"، وربطت بصاحب فكرتها محمد الهادي الطرابلسي، فلم نشأ تعديلها، وهي منهجية رأينا مناسبة الأخذ بها لدراسة هذا البحث. وتختلف هذه المنهجية عن الأسلوبية المقارنة التي بدأها شارل بالي، وعني بها المختصون في اللغات والترجمة بعد ذلك، كون الأخيرة تقارن بين لغتين مختلفتين أو أكثر.(انظر أبو العدوس، ٢٠٠٧: ص ٧٩)، وعن الأسلوبية بشكل عام انظر: الشايب، ٢٠٠٣، والمسدي، ١٩٧٧، ومصلوح، ١٩٩٢، ومحسب، ٢٠١١.

مثلًا، وهي:" **الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون... الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود...أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه...كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة... أنشأ الخلق إنشاء، وابتدأه ابتداء، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها**" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ١٣-١٥).

وبمقارنتها بإحدى تحميدات أبي إسحاق الصابي وهي قوله: " **والحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين، الوحيد الفريد العلي المجيد، الذي لا يوصف إلا بسلب الصفات، ولا ينعت إلا برفع النعوت، الأزلي بلا ابتداء، الأبدي بلا انتهاء، القديم لا منذ أمد محدود، الدائم لا إلى أجل معلوم معدود، الفاعل لا عن مادة استمدها، الصانع لا بآلة استعملها، الذي لا تدركه الأعين بألحاظها، ولا تحده الألسن بألفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها، ولا تهرمه الدهور بكرورها، ولا تضارعه الأجسام بأقطارها، ولا تجانسه الصور بأعراضها، ولا تجاريه أقدام النظراء والأشكال، ولا تزاحمه مناكب القرناء والأمثال**" (الصابي، د.ت: ٢٣-٢٤)[1].

فهاتان التحميدتان تكادان تثبتان أنهم خرجتا من منشىء واحد، فالأسلوب نفسه، من حيث استخدام أداة النفي في كثير من الجمل، والأفكار المذكورة في التحميدتين هي نفسها، فقد أثنيا على الله، ونفيا عنه الصفات، وأثبتا له القدم والأزلية، وأنه خلق الخلق لا عن تجربة معروفة، ولا عن خبرة سابقة. وأمَّا العقيدة في الله فهي واحدة في التحميدتين، عقيدة معتزلية تنفي عن الله الصفات. وقد لحظ ذلك التشابه والتقارب في التحميدات وفي غيرها زكي مبارك حين قال: "ولو أننا قارنا هذه العبارات بأمثالها مما تكلم به الشريف الرضي على لسان علي بن أبي طالب لرأينا الصابي يستقي من نفس المنبع الذي استقى منه الشريف" (مبارك، النثر الفني ٢:١٩٧٥/ ٣٦٠). ولو أمعن النظر قليلا لوجد أن الأمر بعكس ما قاله؛ فمن كتب نهج البلاغة هو الذي استقى من كتابات أبي إسحاق الصابي.

وإذا نظرنا إلى صلاتهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يكتبانه فستجد تشابهًا كبيرًا وتوافقًا عجيبًا في صلاتهما؛ فهذا صاحب النهج يقول: "**واصطفى سبحانه من ولده [أي آدم عليه السلام] أنبياء، أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما**

(١) وانظر تحميدات مشابهة ص: ٤٥ و٧٢.

بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة، من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تحييهم، وآجال تفنيهم...إلى أن بعث الله سبحانه محمدًا صلى الله عليه، لإنجاز عِدَتِهِ، وإتمام نبوته، مأخوذًا على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريمًا ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتتة"(الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ٢١-٢٢).

ويقول أيضاً مؤكدًا ما كان عليه أهل الجاهلية من شرك عظيم وضلال مبين وحياة بائسة: **"إن الله بعث محمدًا صلى الله عليه نذيرًا للعالمين، وأمينًا على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شرِّ دين، وفي شرِّ دار، منيخون بين حجارة خُشْنٍ، وحيات صُمٍّ، تشربون الكدر، وتأكلون الجَشِبَ، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم. الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة"** (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ٧٣).

وأما أبو إسحاق الصابي فيقول: **"وبعث إليهم رسلًا منهم يهدونهم إلى الصراط المستقيم، والفوز العظيم، ويعدلون بهم عن المسلك الذميم، والمورد الوخيم، فكان آخرهم في الدنيا عصرًا، وأولهم يوم الدين ذكرًا، وأرجحهم عندالله ميزانًا، وأوضحهم حجة وبرهانًا، وأبعدهم في الفضل والغاية، وأبهرهم معجزة وآية، محمد صلى الله عليه وسلم تسليمًا، الذي اتخذه الله صفيًا وحبيبًا، وأرسله إلى عباده بشيرًا ونذيرًا، على حين ذهاب منهم مع الشيطان، وصدوف عن الرحمن، وتقطيع للأرحام، وسفك للدماء الحرام، واقتراف للجرائم، واستحلال للمآثم، أنوفهم في المعاصي حمية، ونفوسهم في غير ذات الله أبية، يدعون معه الشركاء، ويضيفون إليه الأكفاء، ويعبدون من دونه ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئًا"** (الصابي، د.ت: ص ٢٤).

فكلاهما اتبع الترتيب نفسه في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم؛ فابتدأ بذكر الأنبياء قبله، وأنهم جاءوا لإرشاد العباد، وإنقاذهم من الشرك، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، وأن الله سبحانه ختم أنبياءه بخيرهم عنده، وأرفعهم مقامًا، وأفضلهم مكانة، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، مع ذكر ما كان عليه العرب حين بُعث من الإشراك بالله، واتباع الهوى والجهالة. فهذا التوافق العجيب في الترتيب، وهذا التقارب في الأسلوب والتركيب والصيغ والألفاظ يدل على ما ذكرناه من يدٍ راسخة، وبصمة واضحة لأبي إسحاق الصابي في صياغة بعض خطب نهج البلاغة.

أما وصف القرآن الكريم فقد تطرق الصابي للحديث عنه، مثلما تحدث عنه النهج من حيث الإطالة في وصفه، والدعوة إلى العمل به؛ فالنهج يقول:" **ثم**

أنزل عليه الكتاب نورًا لا تطفأ مصابيحه، وسراجًا لا يخبو توقده...جعله الله ريًا لعطش العلماء، وربيعًا لقلوب الفقهاء، ومحاجَ لطرُف الصلحاء، ودواءً ليس بعه دواء، ونورًا ليس معه ظلمة، وحبلًا وثيقًا عروته، ومعقلًا منيعًا ذروته، وعزًا لمن تولاه، وسلمًا لمن دخله، وهدى لمن ائتم به، وعذرًا لمن انتحله، وبرهانًا لمن تكلم به، وشاهدًا لمن خاصم به، وفلجًا لمن حاج به، وحاملًا لمن حمله، ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجنة لمن استلأم، وعلمًا لمن وعى، وحديثًا لمن روى، وحكمًا لمن قضى" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ٤٦٤-٤٦٥).

والصابي أبو إسحاق يقول عن القرآن الكريم: **"وأمره بأن يأتم في أمره بالقرآن، ويستضيء بما فيه من التبيان وألا يورد ولا يصدر إلا به... فإنه الطريق المهيع، والحكم المقنع، والحجة الواضحة، والمحجة اللائحة، والبرهان الباهر، والدليل الظاهر، والمسلك الجَدَد، والسبيل الوسط، والبشير بالثواب، والنذير بالعقاب، والزعيم بالنجاة، والأمان من الهلكة، والكاشف للشبه، والمنور للظلم، والهادي للحق، والناطق بالصدق، وبه يعلم الجاهل، ويعلم العالم، وينتبه الساهي، ويستذكر اللاهي، ويتعظ المسرف، ويزدجر الظالم، ويتوب المخطىء، ويقلع المقصر... "** (الصابي، د.ت: ص ٣٤).

وأما العهود[1]، فإن في نهج البلاغة عهدًا واحدًا منسوبًا لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه كتبه للأشتر النخغي (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ٢/ ٢٤٠-٢٦٥)، وهو شبيه في بعض عناصره ببعض العهود التي كتبها أبو إسحاق الصابي عن الخلفاء العباسيين؛ ومنها العهد الذي كتبه عن الخليفة الطائع لله لأبي الحسن علي ابن ركن الدولة الملقب بفخر الدولة (الصابي، د.ت:ص ٨٢-٩٧). ومن عناصر التشابه في هذين العهدين الأمر بتقوى الله في بدايتها، والوصية بالعناية بالرعية، وعدم الاحتجاب عنهم، والإحسان إليهم والرحمة بهم، وبخاصة الأيتام والمساكين وذوي الحاجات منهم، ورعاية طبقات رجال الدولة في الولاية؛ ومن أهمها الجند والقضاة والتجار وأهل الصناعة، وإعطاء كل ذي حق حقه منهم، والعناية بالثغور والمرابطين فيها، والاستجابة للصلح إذا دعا العدو إليه، والوفاء بالعهد إليهم، والتحذير من سفك الدماء بغير حق،

(١) ورد العهد في لسان العرب بمعنى: "التقدُّم إلى المرءِ في الشيءِ. والعهد: الذي يُكتب للولاة وهو مشتق منه، والجمع عُهودٌ، وقد عَهِدَ إليه عَهْداً" (انظر ابن منظور، جذر(ع هـ د)). وفي الاصطلاح: هو صيغة التكليف الذي يكلف الخليفة بموجبه رجلًا من رجاله بإحدى الوزارات أو الولايات أو أحد المناصب القضائية أو غيرها، ويتضمن الوصف الوظيفي للمهمة المكلف بها، كما يتضمن بعض الوصايا الخاصة والعامة التي تهم المكلف بالعمل.

والاستفادة من أحكام السابقين العادلة. ونكتفي بالتركيز على عنصرين متشابهين من عناصر هذين العهدين لا يأتيان عادة ضمن بناء العهود؛ أما التشابه في باقي العناصر فأمر متوقع؛ فالوصية بتقوى الله مثلًا غير مستغرب وجودها في أي عهد من العهود في القرون الأولى، وكذلك الوصية بالرعية، والإحسان إليهم، وعدم الاحتجاب عنهم. لكن ما يلفت النظر هو هذا التشابه في هذين العنصرين؛ وهما الرضا بالصلح من العدو والوفاء بالعهود، والثاني هو استقراء آثار الولاة السابقين، واتباع المحسن منهم لا المسيء؛ ففي النهج يقول عن الصلح مع العدو: **"ولا تدفعن صلحًا دعاك إليه عدوك لله فيه رضا؛ فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمنًا لبلادك...وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمة، فَحُطْ عهدك بالوفاء، وارْعَ ذمتك بالأمانة، واجعلْ نفسك جُنَّة دون ما أعطيت؛ فإنه ليس من فرائض شيء الناس أشد عليه اجتماعًا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود...فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك...وقد جعل الله عهده وذمته أمنًا أفضاه بين العباد برحمته، وحريمًا يسكنون إلى منعته، ويستفيضون إلى جواره"** (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ٢/ ٢٣٠). ويقول الصابي: **"وأن يبذل أمانه لمن طلبه، ويعرضه على من لم يطلبه، ويفي بالعهد إذا عاهد، وبالعقد إذا عاقد، غير خافر ذمة، ولا جارح أمانة، فقد أمر الله بالوفاء فقال: "يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود" ونهى عن النكث فقال:" ومن نكث فإنما ينكث على نفسه"** (الصابي، د.ت: ص ٩٠).

وفي العنصر الثاني الذي اتفق فيه العهدان وهو استقراء آثار الولاة السابقين، واتباع المحسن منهم لا المسيء يقول في نهج البلاغة: **"شر وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيرًا، ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة، فإنهم أعوان الأئمة، وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم، ممن لم يعاون ظالمًا"** (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ٢/ ٢٤٥)، ويقول أيضًا في العهد نفسه: **"والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله، أو فريضة في كتاب الله؛ فتقتدي بما شاهدته مما عملنا به فيها"** (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ٢/ ٢٦٤)، ويقول الصابي: **"ويستقري آثار الولاة قبله عليها فيما أَزُّوهُ من خير أو شر إليها؛ فَيُقِرَّ ما طاب وحسن، ويزيل ما قبح وخبث، فإن من غرس الخير [يُجزى]** (١) **بمعسول ثمرته، ومن زرع الشر يصلى بمرور ريعه، والله تعالى يقول: "والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا. كذلك**

(١) زيادة يقتضيها السياق.

نصرف الآيات لقوم يشكرون" (الصابي، د.ت: ص٩٤).

وفي الأمر بفتح الباب للرعية واستقبالهم، وعدم تفضيل القوي على الضعيف منهم، تتقارب أفكار كل من صاحب النهج والصابي وألفاظهما، حيث يقول في النهج:" **واخفض للرعية جناحك وابسط لهم وجهك وألن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة، والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك"** (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ٢/ ٢٦١).

والصابي يقول: **"وأمره بفتح الباب ورفع الحجاب، وبالبروز للخصوم وإيصالهم إليه على العموم، وأن يناظر بين المتحاكمين بالسوية، ويعدل فيهم عند القضية، ويعطيهم من نفسه أقساطًا متكافئة، وينزلهم من مجالسه منازل متساوية ولا يفضل خصمًا على صاحبه في لحظ ولا لفظ، ولا يقويه عليه بقول ولا فعل، إذ كان الله جل اسمه قد جعل هذا الحاكم سنن الحق وميزان القسط، وسبيل العدل في القبض والبسط، فسوى بين الدنيء والشريف، وأخذ به من القوي للضعيف"** (الصابي، د.ت: ص١١٩).

وها أنت ترى هذا التماثل الذي قد يصل إلى حد التمازج في الأفكار والألفاظ بين النصين؛ فكلاهما يأمر بالعدل، والتسوية بين القوي والضعيف، والمساواة بينهما في النظرة واللحظة.

أما إذا انتقلنا إلى الوصف، فإنَّ لدى الصابي قدرة كبيرة على الوصف، وتصرفًا واسعًا بالأساليب، جعلته في مقدمة كتاب القرن الرابع بلا منازع، وقد حفظت لنا المصادر الأدبية قطعًا نثرية تحوي أوصافًا كثيرة في جوانب متعددة(١)؛ فقد وصف الطرد وعدده وآلاته، والحيوانات المستخدمة فيه كالكلاب والفهود والطيور وغيرها (ابن حمدون، ١٩٩٧: ٥/ ٢٨١-٢٨٦)، وله صفة رمي البندق وآلاته (ابن حمدون، ١٩٩٧: ٥/ ٢٧٨-٢٨١)، وصفة دعوة المظلوم (ابن حمدون، ١٩٩٧: ٥/ ٤٢٧)، وصفة جارية (ابن حمدون، ١٩٩٧: ٥/ ٣٠٧-٣٠٨). وفي النهج عدد من الخطب والقطع النثرية التي تصف بعض المخلوقات كالطاووس (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ٣٨٠-٣٩٤)، والخفاش (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ٣٥٩-٣٦٠)، والذر والنمل (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ٢/ ٦٦)، وغرائب الجراد (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ٢/ ٦٧-٦٨)، فما علاقة هذه الأوصاف بالصابي؟

يلحظ أن لدى الجانبين وصفًا للطيور والحشرات؛ ففي النهج وصف للطاووس والخفاش، والنمل

---

(١) وله أشعار كثيرة في الوصف؛ كوصف الشمعة والبق والقبج [الحجل] وعتيدة الطيب [وعاؤه] (انظر ابن حمدون، ١٩٩٧: وترتيب أماكنها كما يأتي: ٥/ ٤١٥-٤١٦، ٢٩٩-٣٠٠، ٢٨٩-٢٩٠، ٤٢٩).

وغرائب الجراد، ولدى الصابي وصف لطيور الصيد نثرًا، ووصف للقبج والبق شعرًا.

كما يلحظ على هذه الأوصاف لدى الجانبين الإمعان في التفاصيل، والتعمق في الوصف، والاعتناء بالزخرف اللفظي الدال على المهارة الكتابية؛ فإذا نظرنا لوصف الطاووس في النهج فإنه يقول عنه:" **وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ، الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ. إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَمَا بِهِ مُطِلاً عَلَى رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ. يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ...تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ، وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ...وَقَلَّ صِبْغٌ إِلاَّ وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَعَلاَهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ، وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ، لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ، وَلاَ شُمُوسُ قَيْظٍ**" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ٣٩٠-٣٩٤)(١).

وأما الصابي فإنه يقول في وصف الطيور الجوارح: "**وَعَلى أَيْدِينَا جَوَارِحُ مُؤَلَّلَةُ المخَالِبِ والمنَاسِرِ، وَمُذَرَّبَةُ النِّصَالِ والخنَاجِرِ، طَامِحَةُ الأَلحَاظِ وَالمنَاظِرِ، بَعِيدَةُ المرَامِي والمطَارِحِ، ذَكيَّةُ القُلُوبِ وَالنُّفُوسِ، قَلِيلَةُ القُطُوبِ وَالعُبُوسِ، ذَاتُ قَوَادِمَ كَثَّةٍ أَثِيثَةٍ، وَخَوَافٍ وَحْفَةٍ أَثِيرَةٍ، سَابِغَةُ الأَذْنَابِ، كَرِيمَةُ الأَنْسَابِ، صَلِيبَةُ الأَعْوَادِ، قَوِيمَةُ الأَوْصَالِ، تَزِيدُ إِذَا أُلْحِمَتْ شَرَهًا وَقَرَمًا، وَتَضَاعَفُ إِذَا شَبِعَتْ كَلَبًا وَنَهَمًا**" (ابن حمدون، ١٩٩٧: ٥/ ٢٨٣).

وأما إذا انتقلنا إلى الألفاظ، فإن في تشابهها وتكرارها لدى النهج، وفي رسائل الصابي أمثلة تدل على التداخل الكبير، والتفكير الواحد، والثروة اللفظية المشتركة؛ ففي النهج يقول: "مع قرب **الزيال**، وأزوف **الانتقال**" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ١٥٧)، ويقول أيضا: "وقربوا الظهور **للزيال**". وأما الصابي فيقول: "وينعب غرابه **بالزيال**، وتحدى ركائبه **بالانتقال**" (الصابي، د.ت: ص ١٠٨)، وفي النهج يقول: "حتى استقر الإسلام ملقيًا **جرانه**" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ١٢٠)، والصابي يقول: "حتى ضرب الحق **بجرانه**" (الصابي، د.ت: ص ٢٤)، ويقول في النهج: "**سنخ** أصل" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ٥٤) والصابي: "**سنخ** تلك الأرومة" (الصابي، د.ت: ص ٤٧)، ويقول أيضًا: "حتى تكلفها من أجله من ليس في طبعه ولا **سنخه**" (الصابي، د.ت: ص ٩٨) وقوله أيضًا: "من ذلك **السنخ** الشريف" (الصابي، د.ت: ص: ٧٣ "، وفي النهج يقول: "فإنهم إن تموا على **فيالة** هذا **الرأي** انقطع نظام المسلمين" (الشريف الرضي، ١٩٨٨:

(١) وفي وصف الخفاش انظر (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ٣٥٩-٣٦٠)، وفي وصف الذرة والنملة:(٢/ ٦٦)، وفي وصف غرائب الجراد: (٢/ ٦٧-٦٨).

١/ ٤٠٤)، ويقول أيضًا: "واحذر صحابة من **يفيل رأيه**" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ٤٠٤)، والصابي يقول: "وإرخاء لبب رجل **فيّل** في الاعتماد عليه **رأيي**" (الصابي، د.ت: ص ٧٥)، وفي النهج يقول: "وعليكم بهذا السواد الأعظم...فاضربوا **ثبجه**"(الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ٥٤)، ويقول أيضا: "ولجج بحار زاخرة تلتطم أواذي أمواجها، وتصطفق متقاذفات **أثباجها**" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ٥٤)، والصابي يقول:" فتناولته بأطراف العذل ملوحا، ثم **بإثباجه** مفصحا مصرحا" (الصابي، د.ت: ص ٧٥)، ويقول في النهج: "فاتقوا البدع، والزموا **المهيع**" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ٣٣١)، ويقول الصابي: "وأمره أن يتخذ كتاب الله إمامًا متبعًا **وطريقًا مهيعًا**" (الصابي، د.ت: ص ٨٧)، ويقول أيضا: "وأمره أن يأتم بالقرآن...فإنه **الطريق المهيع**" (الصابي، د.ت: ص ١٠٨)، وفي النهج يقول: "فإن الدنيا لم تخلق لكم دار مقام، بل خلقت لكم **مجازا**...فكونوا منها على **أوفاز**" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ٣٠٧)، وأما الصابي فيقول: "فلينظر كل أحد منكم نفسه، وليعلم أنه... على شفير رحلة **وأوفاز**، وفي دار نقلة **ومجاز**" (الصابي، د.ت: ص ١٢٨)، وفي النهج:" فلم آت لا أبا لكم بجرا، ولا **ختلتكم** عن أمركم" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ٢٩٦)، ويقول أيضا:" والله لا أكون كالضبع تنام...حتى...**يختلها** راصدها" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ٤١)، ولدى الصابي: "وما حصل في أيديهم من لص **خاتل**" (الصابي، د.ت: ص ٩٢)، وجاء في النهج قوله: "ولأقودن الظالم **بخزامته**" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/ ٣١٤)، وعند الصابي: "قادوه إلى ذلك بأزمة الصغار **وخزائم** الاضطرار" (الصابي، د.ت: ص ٩٣)، ويقول أيضًا: "ولا تنقاد إلى منافعها إلا **بالخزائم**" (الصابي، د.ت: ص ٩٩).

فالأدلة على أثر الصابي في كتابة نهج البلاغة بدت واضحة، والقرائن مثبتة، والآثار دالة، فهل استفاد من كتب نهج البلاغة من أسلوبه وطريقته، أم أنه اقتطع شيئًا من كتاباته وضمنها نهج البلاغة؛ ليتقوى بها، ويرتقي بأساليب النهج، وينفقه في سوق الكتاب والعلماء؛ فقد كان الصابي مثالًا احتذاه كثير من الكتاب من بعده، وتدارسوا مخاطباته ورسائله وأساليب كتابته فيها، وقد كان العلماء ينصحون الكتاب بالاطلاع على رسائل سابقيهم من الكتاب المتقدمين "لما في النظر فيها من تنقيح القريحة، وإرشاد الخاطر، وتسهيل الطرق، **والنسج على منوال المجيد، والاقتداء بطريقة المحسن**، واستدراك ما فات القاصر، والاحتراز مما أظهر النقد، ورد ما بهرجه السبك" (النويري، ٢٠٠٤: ٧/ ٣٠، وانظر القلقشندي، ١٩٢٢: ١/ ٢٢٧). ولذلك فقد ذكر القلقشندي في صبح الأعشى أن علي بن خلف دلل على صحة المقولة

"الكتابة نسب" ب **"ما نراه من اتفاق خواطرهم على كثير من المعاني التي يستنبطونها، وتواردهم فيها. ولولا تناسب الغرائز وتشابهها لم يكن أن يتواطؤوا في أكثر الأحوال على معانٍ متكافئة متوافية"** (القلقشندي، ١٩٢٢: ١/ ٨١).

ولما كان الصابي من أبرز أهل هذه الصناعة فقد قلَّده من بعده، وحذوا حذوه، وعارضوه ببعض ما أنشأوه؛ ومن ذلك ما أورده القلقشندي من تأليف علي بن حمزة بن طلحة[1] لكتابه "الاقتداء بالأفاضل" يعارض فيه أبرز الكتاب والخطباء كابن نباتة وقابوس بن وشمكير والصاحب بن عباد وأبي إسحاق الصابي؛ فنسج على منوال خطبهم ورسائلهم، والعهود التي كتبوها؛ **"فجرد معانيها من ألفاظها، واخترع لها ألفاظًا غير ألفاظها، مع زيادة تنميق، ومراعاة ترصيف، على أتم نظام، وأحسن التئام"** (القلقشندي، ١٩٢٢: ١/ ٢٦٦-٢٦٧). وقد ضرب القلقشندي مثالًا على ذلك برسالة أنشأها علي بن حمزة المذكور يعارض بها أبا إسحاق الصابي، وكان موضوعها إخبارًا بمولود، بألفاظ مختلفة مع اتحاد في المعنى (القلقشندي، ١٩٢٢: ١/ ٢٦٧-٢٧١).

وإذا علمنا إعجاب الشريف الرضي بقدرات الصابي على الكتابة، وتصرفه في أساليبها على وجوه تثير الإعجاب، وطرق تخلب الألباب، بل وتأثره بأسلوبه وطريقته في الكتابة (أبو عليوي، ١٩٨٦: ٢٧١)، فليس بمستغرب إفادته في نهج البلاغة، مما أنشأه أبو إسحاق الصابي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؛ اقتباسًا أو تضمينًا أو اجتلابًا. والله أعلم.

شكر وتقدير

دُعِم هذا البحث من عمادة البحث العلمي، ومركز بحوث كلية الآداب بجامعة الملك سعود.

خاتمـــــة

وبهذا يعلم أنه كان بين الشريف الرضي وأبي إسحاق الصابي صداقة حميمة، وعلاقة راسخة، وإعجاب متبادل، جمعهما حب الأدب والشعر؛ فكان أحد آثار هذه الصداقة المهمة ترجح الاستفادة من أسلوب أبي إسحاق الصابي وطريقته في كتابة أجزاء أدخلت ضمن ما أدخل في نهج البلاغة؛ دل على ذلك التقارب الكبير في الأساليب والتراكيب والوصف بين محتوى نهج البلاغة ومحتوى رسائل الصابي، وكذلك تقارب الألفاظ وتشابهها، كما رأينا في الأمثلة والشواهد التي مرت معنا في هذا البحث.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني. *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*. تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة: دار نهضة

(١) انظر ترجمته لدى (الحموي، ١٩٩٣: ٤/ ١٦٥٦-١٦٥٧).

مصر، د.ت.

ابن الأثير، عزالدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني. *الكامل في التاريخ*. تحقيق محمد يوسف الدقاق، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

أمين، أحمد. ***فجر الإسلام***. ط١٠، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م.

البغدادي، الخطيب أبو بكر. *الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع*. تحقيق محمود الطحان، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، د.ت،

البغدادي، الخطيب أبو بكر. *شرف أصحاب الحديث*. تحقيق د. محمد سعيد خطي أوغلي، ط١، أنقرة: دار إحياء السنة النبوية، د.ت.

برنجي، سليم. *الصابئة المندائيون..دراسة في تاريخ معتقدات القوم المنسيين*. ط١، بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ابن تيميّة، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم. *منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية*. تحقيق محمد رشاد سالم، ط١، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

الثعالبي، أبو منصور عبدالملك النيسابوري. *يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر*. شرح وتحقيق د.مفيد محمد قميحة، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ ه/ ١٩٨٣م.

حسن، محمد عبدالغني. *الشريف الرضي*. القاهرة: دار المعارف، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

الحسني، عبدالرزاق. *الصابئون في حاضرهم وماضيهم*. د.ن، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

الحلو، عبدالفتاح محمد. *الشريف الرضي حياته ودراسة شعره*. ط١، القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

حمادة، محمد عمر. *تاريخ الصابئة المندائيين*. ط١، دمشق: دار قتيبة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد. *التذكرة الحمدونية*. ط١، بيروت: دار صادر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن محمد. *معجم الأدباء*. تحقيق إحسان عبّاس، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

درويش، محمد. طاهر *الخطابة في صدر الإسلام*. القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٦٥.

الديباجي، محمد. *الأدباء الصابئة في العصر العباسي*. ط١، الرباط: منشورات جامعة الحسن الثاني، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد. *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*. تحقيق محمد علي البجاوي، ط١، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

الرازي، فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر.

تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب. ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

أبو رسلان، ندى. *أبو إسحاق الصابي الكاتب والشاعر*. رسالة ماجستير، لبنان، قسم اللغة العربية، الجامعة الأمريكية- بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الرشود، راشد. "نهج البلاغة بين عصرين...مقاربات ومقارنات أسلوبية"، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة سينشر بمشيئة الله في العدد القادم، (٢٠١٩م).

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد. *فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي*. تحقيق علي حسن علي، ط١، القاهرة: مكتبة السنة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

السعدي، قيس مغشغش. *أبو إسحاق الصابي درر النثر وغرر الشعر*. ط١، إربيل: وزارة الثقافة والشباب العراقية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م.

السيد، صبري إبراهيم. *نهج البلاغة*. ط١، الدوحة: دار الثقافة، ١٤٠٦ه/ ١٩٨٦م.

سيوفي، نيكولا. *الصابئة عقائدهم وتقاليدهم*. ط١، دمشق: دار التكوين، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

الشايب، أحمد. *الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية*. ط١٢، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٣م.

الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي. *ديوانه.. صنعة أبي حكيم الخبري*. تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، ط١، بغداد: وزارة الإعلام العراقية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي. *ديوانه*. صححه وقدم له إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي. *كتاب نهج البلاغة (وهو ما جمعه الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب)*. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

شكر، ملحم. *أضواء جديدة على الصابئين: صفحة من تاريخ الأديان في دار الإسلام*. بيروت: منشورات الجمل، ط١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبدالكريم ابن أبي بكر أحمد. *الملل والنحل*. تحقيق عبدالعزيز محمد الوكيل، القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

الصابي والشريف الرضي، *رسائل الصابي والشريف الرضي*. تحقيق محمد يوسف نجم. الكويت:

دائرة المطبوعات والنشر، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

الصابي، أبو إسحاق إبراهيم بن هلال. *المختار من رسائل أبي إسحاق الصابي*. جمع وتحقيق الأمير شكيب أرسلان، بيروت: دار النهضة الحديثة، د. ت.

ضيف، شوقي. *الفنّ ومذاهبه في النثر العربي*. ط٢، بيروت: مكتبة الأندلس، ١٩٥٦م.

الطرابلسي، محمد الهادي. *"معارضات شوقي بمنهجية الأسلوبية المقارنة"*، مجلة فصول، المجلد الثالث، العدد الأول، أكتوبر/ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٨٢م، ص: ٨٥-٩٦.

عباس، إحسان. ***الشريف الرضي***. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٠هـ/ ١٩٥٩م.

أبو العدوس، يوسف. *الأسلوبية الرؤية والتطبيق*. ط١، عمّان: دار المسيرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

عليان، رشدي. *الصابئون حرانيين ومندائيين*. بغداد: مطبعة دار السلام، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

أبو عليوي، حسن. محمود *الشريف الرضي: دراسة في عصره وأدبه*. ط١، بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي. *صبح الأعشى*. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م.

قناوي، عبدالعظيم علي. *"أبو إسحاق الصابي"*، مجلة الرسالة، العدد (٢٣١)، (١٩٣٧م)، ٣٤-٣٩.

كرد علي، محمد. *الإسلام والحضارة العربية*. ط٣، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م.

مبارك، زكي. *عبقرية الشريف الرضي*. ط٢، القاهرة: دار كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١٢م.

مبارك، زكي. *النثر الفني في القرن الرابع الهجري*، بيروت: دار الجيل، ١٣٩٥ه/ ١٩٧٥م.

محسب، محيي الدين. *الأسلوبيات الأدبية*. ط١، الرياض: من إصدارات كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

المدني، محمد نمر. *الصابئة المندائيون: العقيدة والتاريخ منذ ظهور آدم حتى اليوم*. دمشق: دار رسلان، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

المسدّي، عبدالسلام. *الأسلوب والأسلوبية نحو بديل ألسني في نقد الأدب*. ط٣، طرابلس الليبية: الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧م.

مسلم، أبو الحسن النيسابوري مسلم بن الحجاج. *صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

مصلوح، سعد. *الأسلوب دراسة لغوية إحصائية*. ط٢، القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي. *لسان العرب*. ط٢، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠م.

المطرودي، محمد بن إبراهيم. *الشريف الرضي*، الرياض: من منشورات النادي الأدبي في الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

المطرودي، محمد بن إبراهيم. *الشريف المرتضى وأدبه*. ط٢، الرياض: د.ن، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

مناع، هاشم صالح. *الأدب العباسي*. ط١، الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

نور الدين، حسن جعفر. *الشريف الرضي حياته وشعره*. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب. *نهاية الأرب في فنون الأدب*. تحقيق علي ملحم، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.